بعـــــد عامين . . .

لصاحب العزة عزيز أباظه بك

[كتب لى أديب جليل الخطر من أدباء الأقطار الشقيقة يقول : « إنها حية فى قلبك لا شك فى ذلك . فالرأى عندى أن تبذل لها غزلك ، وتحبس عنها رثاءك »]

يا زين عهدُك بى ـ جُعلت فِداك ـ
نفسٌ مُنـدَّبةٌ[1] وطرفٌ باكِ
وجوانحٌ تُطوى على مُستضعف حيران ذاق اليُتمَ يوم نواكِ
يا زين والدنيا قرارةُ شِقوةٍ أُترِكْ مُلِثَّتِ النعيمَ هُناكِ
إن كانت استعْدت عليك خطوبها
فلقد بلغتِ من الحياة مُناكِ
خلَّفتِ نفح الورد فى أرجائها ومضيتِ أكرمُ سيرةً ذكراكِ
وذهبتِ ضاحكةَ النضارة والصِّبا
كالروض سامَرَه الربيعُ[2] البَاكى
عبست لكِ الأيامُ حتى لم تجدْ هدفاً لعاصف كيدِها إلاكِ
ألوتْ بأختك بعد أن فَرَستْ[3] أخاً
فمضت . وأعجلَ بعدها أخواكِ
ثقُلت رزيئتُهم علىَّ وإنما قدكان أفدحَ ماحملت أساكِ[4]
يا هجمةَ العين الطويل سهادُها
كم صدَّعت[5] عنى الكرى عيناك
يا قبلة الطلِّ الرفيق سرت على
خدِّ الشقيق[6] فرفَّ[7] واستحياك
يا همسةَ الشاكى ـ وخير سِفارة ـ
بين الهوى والهجرِ همسةُ شاكى
قلبى وعقلى ـ قد علمت ـ كلاهما خبرَاك فاصطفياك واعتلقاكِ
لم يحل من حضر البلاد وريفها للنفس . إلا حيثما تلقاكِ
ويروق فى عينىَّ ما استحسنته ويهون ما يَزْوَرُّ عنه رضاكِ
ويهون ضاحى العمر إلا ليلةً جادت على طول النوى بلقاكِ
بتنا بها زوجين نالا مُنية كانت تُخال عزيزةَ الإدراكِ
قالت وقلت فلو أصاخ لنا الدجى لرثى لشاكية هناك وشاكِ
عشنا على سَحْرِ[1] النعيم ونحْره
حتى تورَّدك الردى فطواكِ
نغدو على وِرْدِ الوفاق ونَوْرِه ونبيتُ لم نعقبْ على الأشواكِ
فإذا رأيتِ الأمرَ لم أُرِحْ له
شفَّعتُ عطفك واستعنتُ حِجاكِ
وإذا اعتركنا مرة عَرَض الهوى
فمحى بسحر عصاه كلَّ عراكِ
وإذا هفت نفسى لغير كريمة
جرَّدتِ حزمك طبَّةً[2] ونهاكِ
فكففْتها فى حكمة ولباقة وبلغت بالمس الرفيقِ مُناكِ
وإذا النفوسُ إلى توائمها اهتدت
سعدت . وتلك مراتبُ الأملاكِ[3]
وإذا أهابت بى العلا شيَّعتنى بصريمة يقظى وعزم شاكِ
ودفعتنى ثبْتَ الخطى مُستعصماً
بالله مُهتدياً بنور هداكِ
جنبتنى زللَ الصِّبا وعثارَه ومضى يُهذِّب لى الحياةَ صباكِ
روَّتنى الدنيا ببعض نعيمِها فوجدت أكرمه نعيم رضاكِ

* * *

ولقد دخلتُ عليك من وَثْبِ الضُّحى
روضاً تنفس فيه طيبُ شذاكِ
أسعى إلى مثواك مثوبَ الهوى
وأكاد أومنُ أننى سأراكِ
وأفضت حتى جئت رفرفَ مضجعٍ
طُهْرٍ كأركانِ البنيَّة[4] زاكِ
وكأنما انجاب الرُّخامُ عن الثرى
فأهلَّ من خَلَلِ الرِّجام ضياكِ[5]
فشهِدتُ فى حلْىِ العروس وعطرها
نفسى التى ودَّعتُ يوم نواكِ
تلك الصباحة والطلاوة والصبا أضفى عليهن الجلال كراكِ
والماء فى قسمات وجهِك لامح[6]
صافٍ وسحرُك ساكبٌ وسناكِ

(١) كثيرة الندوب والجراح
(٢) المطر (٣) أفترست (٤) المقصود حزنها على إخوتها
(٥) رنت وفرقت (٦) نوع من الزهر (٧) تألق واهتز

(١) الصدر (٢) الطبة الحازمة (٣) الملائكة
(٤) الكعبة (٥) الثواب أو الجارة (٦) لامع

وحُـلاك واحدةُ الطراز . ألمْ تصَغْ
من جوهر الخلق الكريم حُـلاكِ
فوضعت خدى حيث خدك مائل ومدامعي تَرْوى بها خدَّاكِ
وسكبت فى أذنيك ألحان الهوى واطالما هشَّت لها أذناك
ونهلتُ من عينيك سحراً لم يزل تحت التراب تشفُّه عيناك
وجلوت في فوْديك بدر دُجُنَّةٍ
وهصرتُ فى عطفيك عودَ أراكِ
ويداى فى ذهبيِّ شعرك ضلَّتا وتُنهنه الشوق الجموح يداك
ويموجُ مثلَ الشُّهد فوك وكالطِّلا
أشتارُ[1] شُهدَك أم أعبُّ طِـلاك ؟
وأقول فى سُمَداء أنفاس الجوى
رَيَّا السُّلافة تلك أم رَيَّاك
وأقول من سلبَ الزهورَ رحيقَـها
وهفا إليك بصـــفوها فسقاك
وأقـول والأشجان تنهك مهجتى
والقلب يصهره الأُوارُ الذاكى[2]
لو قد سألت بنا ! فزوجك مُوحش
وبنوك واجمـــةٌ وعُشُّك باك
يهواك ـ والدنيا جناح بعوضةٍ ـ عندى إذا قُرنت بطهر هواك
بالضاحك الفَنَّان من عهد الصبا
فى الشرق المأنوس من مغناك
وبكل ضمة مُتعـة وهناءة أضفى علىَّ نعيمها حِضناك
وبكلِّ عذب اللحن من قُبل الهوى
نضحت[3] بهـا شفتى المُلَحةُ فاك
قسما فلم نلتذَّ غيرَكَ أضلعى يوماً ولم يصرخ دمى لسواك
فامضى كأغنية الربيع ترقرقت ألوانها فى نوره الضحاكِ
وامضى كنسَّيرة[4] السماء كريمة الـ
روحات والغدوات والأفلاك

* * *

(١) الاشتيار : جنى الشهد (٢) المتقد
(٣) بللت وسقت (٤) الشمس

أملاعبَ الصبوات من حرَم الحمى
هوجُ الخطوبِ أذلن عزَّ حِماك
راش الزمانُ سهامَها وأحدَّها فرماك ثم رماكِ ثم رماكِ
كانت رباك خمائلاً وجداولاً وشمائلاً[1] . أمن الجنان رباك ؟
المسكُ ليـلك سحرُه وعبيرُه ورقائق الذهبِ الصقيل ضُحاك
وتظلُّ أرواحُ العشىِّ عواطلاً من عَرفِها ما لم تمسَّ شذاك
كيف الغدير السمح . ساق لجُينَه[2]
فسقاك . والوشىَ البهيجَ كساك
هل لم تزل قبلاتُ ضاحك مائه
تترى على صفصافه المتباكى
أم بُدِّلت أمواهُـه وخريرُه عبراتِ نائحةٍ وزفرةَ شاك
والقصر . كيف مشى الردى فى ساحه
مشيَ الوباء العاصفِ الفتـــاك
قد كان مرتعَ كل ظبىٍ لاعبٍ
أنسٍ . وخيسةَ[3] كل ليث شاك
درجت طفولتنا على جنباته ونما هوانا فى ثراهُ الزاكى[4]
فى كل موضع نبتة من روضه ذكرى لموقف لوعةٍ وتشاكى
لما التقينا هاج دمعك أدمعى أبكانىَ الشجنُ الذى أبكاك
أبصرتنى فرداً فعاودك الأسى لله أىَّ جوًى أثار أساكِ
عزفت عن الشدو الطيور وأجهشت
أيكاتُك[5] العُبرى وجفَّ نداك
واغبرَّ مُخضرُّ البساط ونكَّست
تيجانها الزهراتُ فى الأشواك
ويقول مطلولُ البنفسج للندى
يا شدَّ ما نلقى ! ألستَ كذاكِ
أنكرنَ أنى لم أزل من بعدها
حيًّا . أنا الميت البطىءُ هلاكى
أملاعبَ الصبواتِ قد جرت الرحى
فعفتك . لم ترحم سوى ذكراك

(ع ١٠)

(١) الأنسام (٢) الفضة (٣) بيت الأسد
(٤) الطاهر (٥) جمع أيكة وهى ملتف الشجر